V J · d

اسم الكتاب : نقود الدولة العيونية في بلاد البحرين.

المؤلف: نايف عبد الله الشرعان.

الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض، المملكة العربية السعودية.

سنة النشر: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

التصنيف الدولي: ٥١٣٩/٢٢ .

مقاس الكتاب: ١٧× ٢٤ سم

عدد الصفحات: ٣١٥ صفحة
(وتشمل ٥٠ لوحة، و ٥٢ شكلاً)

عرض : د. فرج الله أحمد يوسف.

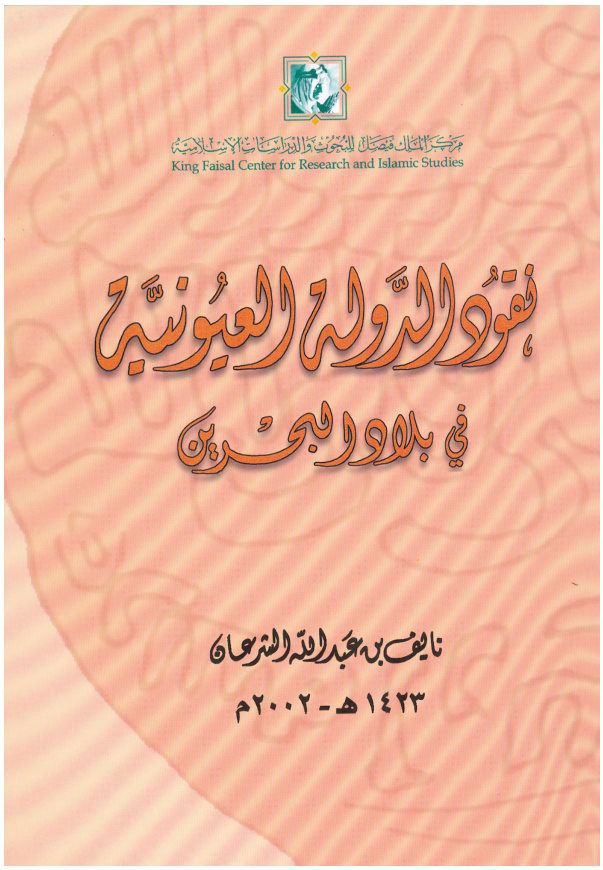

يتكون الكتاب من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع، تعقبها اللوحات والأشكال والكشاف.

ناقش المؤلف في المقدمة أهمية المسكوكات الإسلامية، بوصفها أهم المصادر، التي يمكن من خلالها تدوين التاريخ الإسلامي لأنها وثائق رسمية تحمل شارات الدول ورموز سيادتها، ويمكن من خلال نقوشها الكتابية، دراسة أوضاع الدول السياسية والاقتصادية والمذهبية والاجتماعية. لذا، يعد هذا الكتاب أهم مصدر لدراسة تاريخ الدولة العيونية حتى الآن، نظرًا لافتقارنا لأية مصادر تاريخية مكتوبة عن الدولة العيونية، التي يعتمد المؤرخون في دراستهم لتاريخها على ديوان الشاعر علي بن المقرب، والشروح الموجودة على بعض نسخ الديوان، مثل النسخة المحفوظة في المكتبة الرضوية بمشهد، التي يعود تاريخها إلى سنة ٩٦٣هـ (المدرس ٢٠٠١: ١٧٣)، وقد سجل الشارح بها أسماء حكام العيونيين حتى سنة ٦٣٣هـ؛ ولكن بعد دراسة هذه المجموعة من النقود العيونية ونشرها، أصبح لدينا مصدرًا مهماً لتاريخ الدولة العيونية، سوف يكشف عن الكثير من الجوانب الغامضة في تاريخ هذه الدولة.

تحدث المؤلف في المقدمة عن العثور على مجموعة النقود العيونية، في ما يعتقد أنه كان دارًا لسك النقود، أو بالقرب منها، نظرًا لأن العديد من قطع المجموعة لم يتم قصها وتشذيبها. ولمّا كانت هذه النقود مسكوكة من معدن الرصاص، فقد تطّلب تنظيفها وإعدادها للدراسة الكثير من الحذر والحيطة، على أيدي مختصين في ترميم الآثار.

يشتمل الفصل الأول على الإطار الجغرافي لبلاد البحرين. فبعد أن يعرض المؤلف آراء الجغرافيين والمؤرخين، يخلص إلى أن بلاد البحرين تمتد على الساحل الغربي للخليج العربي، من البصرة شمالاً، إلى جلفار جنوبًا؛ وبذلك فهي تشمل، في الوقت الحاضر: البحرين، وقطر، والكويت، والمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية. ويلي ذلك مقدمة تاريخية عن بلاد البحرين، منذ صدر الإسلام حتى قيام الدولة العيونية في النصف الثاني

من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ولما كانت بلاد البحرين مأوى للمعارضين والخارجين، فقد اهتم المؤلف، بصفة خاصة، بالفرق الخارجة على الخلافتين الأموية والعباسية، مثل: الخوارج، والزّنج، والقرامطة.

قسّم المؤلف الفصل الثاني إلى قسمين، تناول في أولهما الأحوال السياسية للدولة العيونية، منذ تأسيسها على يدي عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم العيوني سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٥م، بعد أن تمكّن من القضاء على دولة القرامطة. وبعد أن أحكم عبد الله العيوني سيطرته على بلاد البحرين، اتخذ من الأحساء عاصمة لدولته، وظل في الحكم حتى وفاته؛ فخلفه ابنه الفضل، ثم ابنه أبو سنان محمد، الذي اتخذ من القطيف عاصمة للدولة العيونية. وشهد عصره صراعًا داخليًا انتهى بمقتله سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م. وانقسمت الدولة العيونية بعده حتى تمكّن أحد أحفاده من إعادة توحيدها في أواخر القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي. وفي سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م عادت الخلافات الداخلية تهز أركان الدولة العيونية. فانتهز عصفور بن راشد، زعيم بني مالك، الفرصة واستولى على أملاك الدولة العيونية في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي؛ وبذلك انطوت صفحة الدولة العيونية.

وفي القسم الثاني من الفصل الأول، تناول المؤلف نقود بلاد البحرين حتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. فبدأ بمقدمة عن النقود، التي كانت متداولة في المنطقة قبل الإسلام ثم تناول النقود، التي ضربت بها بعد الإسلام. ويلاحظ الاعتماد على الرصاص، في صناعة النقود البحرينية منذ العصر الأموي. ويؤكد المؤلف أن دور السك في البحرين، لم تصدر نقودًا ذهبية أو فضية، وحتى النقود الذهبية والفضية، التي أصدرها الزنج والقرامطة، صدرت في مراكز سك خارج بلاد البحرين، مثل: المدينة المختارة (بالقرب من البصرة)، ومكة المكرمة، والرملة، وطبرية، ودمشق. وقد ذكر الرحالة ناصر خسرو، الذي زار الأحساء في القرن الخامس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، أن النقود المتداولة في الأحساء، كانت مصنوعة من الرصاص.

يتضمن الفصل الثالث الدراسة الوصفية لمجموعة النقود العيونية، وعددها خمسون درهمًا، منها أربعة دراهم ضربت في أرض الخط، وتسعة ضربت في جزيرة أوال، وسبعة وعشرون في الخط، أما تواريخ السك، فتتراوح ما بين سنتي ٥٤٤-٥٤٩هـ. وقدم المؤلف وصفًا شاملاً لكل قطعة نقدية على حدة، تضمّن: مكان السك وتاريخه، والوزن والقطر والسماكة، وقراءة للنصوص الكتابية، التي كانت في الغالب عبارة عن شهادة التوحيد والرسالة المحمدية، ومكان السك وتاريخه، واسم الحاكم، الذي ضربت نقود هذه المجموعة في عهده، وهو: جمال الدين الحسن بن عبدالله بن علي، والآيات القرآنية، التي نقشت على نقود المجموعة. ويتضح من الدارسة الوصفية، أن الدولة العيونية سارت على نهج سابقيها، في الاعتماد على الرصاص مادة أساسية لضرب النقود.

خصّص المؤلف الفصل الرابع والأخير، للدراسة التحليلية والفنية للمجموعة، وتناول من خلالها مراكز السك. وقد أضافت هذه المجموعة ثلاثة مراكز سك جديدة، لم تكن معروفة من قبل، وهي: أرض الخط، وجزيرة أوال، والخط؛ ثم عرض المؤلف أنواع الخطوط، وطرق تنفيذها على نقود المجموعة. وتبين له استخدام نوعين من الخط، هما: الكوفي والنسخ. وأعد المؤلف جدولاً أوضح فيه أشكال الحروف، كما وردت على نقود المجموعة. أما الآيات القرآنية والعبارات والألقاب، الواردة على نقود المجموعة، فقد ناقش المؤلف دلالات العبارات وتفسيرها، مثل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله، وورد على نقود المجموعة جزء من سورة الإخلاص (بِلّه أَحّد بِلّه بِصّمّد لّمّ يّلْدّ $لّمّ يولّدّ $لّمّ يّكن لّه كفوًا أَحّد)، والاقتباس القرآني من الآية ٣٣ في سورة التوبة (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون). وتتبع المؤلف ظهور هذه الآيات والعبارات على المسكوكات الإسلامية، ثم انتقل إلى اللقب، الذي ظهر على نقود المجموعة، وهو: "جمال الدنيا والدين" وقد تلقّب به الحسن بن عبد الله بن علي العيوني (٥٣٩-٥٤٩هـ/١١٤٤-١١٥٤م)، الذي ضربت نقود هذه المجموعة في عهده. لذا فقد تعرّض المؤلف إلى الألقاب المضافة إلى (الدين) منذ أول ظهورها على المسكوكات الإسلامية. فوجد أن نقود هذه المجموعة تنفرد بأنها أول نقود إسلامية، يسجل عليها لقب: جمال الدنيا والدين. ويعد الدرهم المضروب في أرض الخط سنة ٥٤٤هـ، أقدم نقد إسلامي نقش عليه هذا اللقب حتى

الآن.

ومن أهم النتائج، التي توصلت إليها الدراسة، على سبيل المثال لا الحصر:

١- لم تنضوي الدولة العيونية تحت سلطة أي من الخلافتين العباسية أو الفاطمية.

٢- كان المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي للدولة العيونية، استنادًا إلى وجود عبارة: (علي ولي الله)، التي لا تسجل إلا على نقود الدولة، التي تتبع المذهب الشيعي. ولقد وردت بعض الإشارات التاريخية، التي تشير إلى اعتناق الدولة العيونية للمذهب الشيعي، ومن ذلك ما جاء بمخطوطة في التراجم مجهولة المؤلف والعنوان، محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة. وكان أكثر من ترجم لهم مؤلف المخطوطة من الشيعة، بجانب حكام الدولة العيونية ومدنها، مثل: القطيف، وأوال (المديرس ٢٠٠١: ١٧٢). وتوصلت بعض الدراسات، التي تناولت شعر علي بن المقرب العيوني إلى ترجيح تَشَيُّعِه، وتعد قصيدته العينية، التي رثا فيها الحسين بن علي (رضى الله عنهما)، من أقوى الأدلة على ذلك (العماري د.ت: ١٧٣-١٨٠). كما أشار بعض الرحّالة المسلمين، الذين زاروا بلاد البحرين، إلى أن أهلها كانوا شيعة (ابن بطوطة ١٩٩٧: ٢/٥٨). (وقد أثبت المؤلف الأدلة على تشيّع الدولة العيونية، في تفسيره لعبارة: علي ولي الله. أنظر الكتاب ص ص ١٩٥ - ٢٠٤)، وهناك العديد من المراجع، التي تناولت تاريخ الدولة العيونية من خلال ديوان علي بن المقرب العيوني، وتحفل بالإشارات، التي ترجّح تشيّع الدولة العيونية (العمران ١٩٦٨؛ الخضيري ١٩٨١؛ آل خليفة ١٩٨١).

٣- إضافة ثلاثة مراكز سك جديدة، لم ترد في مراكز المسكوكات الإسلامية من قبل وهي: أرض الخط، والخط، وجزيرة أوال.

٤- ظهور لقب: "جمال الدنيا والدين"، لأول مرة على النقود الإسلامية.

٥- سكت نقود الدولة العيونية من الرصاص المخلوط بالبرونز أو النحاس، ولم تكن ذات أوزان ثابتة، والفروق بين أوزانها كبيرة جدًا.

ولمّا كان أي عمل علمي لا يخلو من بعض الهنات والملاحظات، فإن من الملاحظات، التي لا تقلل من جهد المؤلف وأهمية الكتاب، الآتي:

١- كان على المؤلف، وهو يستعرض تاريخ بلاد البحرين في صدر الإسلام، أن يشير إلى وفد بني عبد القيس، الذي قدم إلى المدينة المنورة وقابل الرسول (صلى الله عليه وسلم) في السنة الأولى للهجرة. وكان على رأس ذلك الوفد الأشج المنذر بن عائذ؛ وكذلك تجدر الإشارة إلى مسجد جواثى، الذي شُيّد في السنة الثانية للهجرة في بلاد البحرين.

٢- عند حديثه عن نقود بلاد البحرين قبل الإسلام، اقتصر المؤلف على ذكر النقود اليونانية والسلوقية، التي كانت متداولة في المنطقة، وفاته أنه عُثر في المنطقة على مسكوكات تعود لممالك عربية، مثل: مملكة معين، ومملكة حضرموت، ومملكة الأنباط، ومملكة ميسان.

٣- ذكر المؤلف أن ثورة الزنج بدأت سنة ٢٥٤هـ (ص ٣٥)، ثم قال إنها بدأت سنة ٢٥٥هـ (ص ٨٣)، والتاريخ الأخير هو الصواب.

٤- أشار المؤلف إلى النقود الفضية لصاحب الزنج، وأغفل نقوده الذهبية ومنها الدينار المضروب في المدينة المختارة سنة ٢٦١هـ.

٥- هناك اختلاف في العناوين الفرعية للفصل الثالث؛ ففي الفهرس (ص ٦) جاءت العناوين كما يلي:

الفصل الثالث: الدراسة الوصفية

أولاً: تعريف بالمصطلحات.

ثانيًا: طرز النقود العيونية.

ثالثًا: وصف القطع النقدية.

أما في افتتاحية الفصل (ص ٨٩)، فقد جاءت العناوين كما يلي:

الفصل الثالث: الدراسة الوصفية.

أولاً: تعريف بالمصطلحات.

ثانيًا: وصف النقود وطرزها.

وكان ينبغي تعديل ما جاء في الفهرس، ليتوافق مع ما جاء في افتتاحية الفصل.

٦- ملاحظات على الدراسة الوصفية:

- عند دراسته للقطعة رقم ٢، ذكر المؤلف أن تاريخ ضربها سنة ٥٤٩هـ، في الوقت الذي يشير فيه إلى أن كتابات

الظهر ممسوحة (ص ٩٦).

- أشار إلى أن تاريخ ضرب القطعة رقم ٣ غير واضح، مع أنه سجل كتابات هامش الظهر كما يلي: (بسم الله ضرب هذا الدرهم بأرض الخط سنة ... وأربعين وخمس ومائة) (ص ٩٧).
- ذكر أن تاريخ ضرب القطعة رقم ١٣ غير واضح، وسجل كتابات هامش الوجه كما يلي: (بسم الله ضرب هذا الدرهم بجزيرة أوال سنة ... وأربعين وخمس ومائة)، وكان عليه أن يسجل التاريخ كما فعل في القطعة رقم ١٢ (×٥٤هـ) (ص ١٠٦-١٠٧).

٧- عند حديثه عن أرض الخط قال المؤلف: (... وتضم مجموعة الدراسة خمسة دراهم للسلطان جمال الدنيا والدين الحسن بن عبد الله بن علي، جرى سكها في أرض الخط ما بين سنة ٥٤٤هـ وسنة ٥٤٩هـ...) (ص ١٥٤-١٥٥)، وعند مراجعة الدراسة الوصفية نجد الدراهم المضروبة في أرض الخط أربعة فقط (ص ٩٥-٩٨).

وفي الختام، يعد هذا الكتاب إضافة للمكتبة العربية، بصفة عامة، ولعلم المسكوكات الإسلامية، بصفة خاصة، لما توصل إليه المؤلف من نتائج جديدة نتجت عن دراسة هذه المجموعة من النقود، التي تعد الوحيدة من نوعها؛ إذ لم يسبق أن نُشرت من قبل أية نقود للدولة العيونية، في بلاد البحرين.

د. فرج الله أحمد يوسف - الرياض ١١٤١٢ - ص ب ٤٥٥٦ farajyousef @ hotmail.com

المراجع:

ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبدالله محمد ١٩٩٧ . **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** (تحقيق عبدالهادي التازي)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.

الخضيري، علي عبدالعزيز ١٩٨١ . **علي بن المقرب العيوني حياته وشعره**، بيروت.

آل خليفة، عبدالله خالد ١٩٨١ . "دولة العيونيين في البحرين"، **الكتاب السنوي الأول، للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية في الخليج والجزيرة العربية**، الرياض.

آل خليفة، عبدالله خالد ١٩٨٢ . دراسة في دولة العيونيين **الوثيقة**، العدد الأول، رمضان ١٤٠٢هـ/يوليو ١٩٨٢م.

العماري، فضل بن عمار (دت)، **ابن المقرب وتاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين**، الرياض.

العمران، عمران ١٩٦٨ . **ابن المقرب حياته وشعره**، الرياض.

المديرس، عبدالرحمن مديرس ٢٠٠١ . **الدولة العيونية في البحرين**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.